مسابقة كتابة مقال حول رواية

أن تقتل طائرًا بريئًا

للكاتبة هاربر لي

مقال باللغة العربية

استخدمت هاربر لي التعبير عن العدل والقيم من منظور طفلة في الثامنة من عمرها "سكاوت". الراوية لأحداث القصة قد تبدو في بعض الأحيان تعرف أكثر مما يتطلبه سنها لكن السمة الغالبة تبقى طبيعة الطفلة التي تحلل بطبيعتها وفطرتها ما تراه، لكن ذلك يعطي الانطباع بأن العدل وحب القيم فطرة في داخلنا، ويضفي على الأحداث مصداقية وبراءة رائعة، فالأطفال في داخلهم قلوب وعقول بيضاء لا تقبل الزيف أو الظلم لم تضع الحياة فيهم أثرها بعد. جعلتنا هاربر لي نرقب الأحداث بعيني طفلة لها فضول وعبث لا ينتهيان، تحليل رائع لتصرفات الأشخاص، و لها أيضًا قدرة قوية على استكشاف ما حولها من أشخاص وأحداث مما يجري حولها في المنزل أو مع من هم حولها من جيران. نجدها هي وجيم يمثلون فضول الناس الذي لا ينتهي حول ما لا يعرفونه وما يتوقون لمعرفته مثل لغز الرواية الكبير "بو رادلي" الذي لم يروه يغادر منزله قط ولم يعرفوا عنه إلا ما رواه الناس من روايات، فكان ذلك الدافع لينسجوا عنه الحكايات والخيالات التي بلغت ذروتها بأن يتخيلوه وحشًا يلصقون به التهم جزافًا، استمرارًا لما سمعوه من الناس عنه لمجرد أنه لم يرغب في مغادرة منزله، آثر أن يبتعد عن الناس سواءً كان لاعتقاد شخصي أو خوفًا منهم. لكنهم مع أحداث الرواية يكتسبون الشك في الاعتقاد الذي زرعه الناس فيهم، مع الإشارات الخفية التي كان يبعثها لهم مثل العلك، الدمى التي نحتها لهم، الميدالية أو ساعة الجيب التي وضعها لهم في فجوة الشجرة، كأنهم يسمحون لعقولهم أن تتنفس لتبحث عن الحقيقة. قد يقع الكبار في مثل هذا الخطأ لكن قليل منهم من يسمح لعقله بأن يتوقف ليبحث عن الحقيقة، فمعظمهم يكابرون حتى لا يضعوا احتمالاً بأنهم كانوا مخطئين ولو لثانية، أو تجنبًا لأن يقال: جانبهم الصواب.

نرى في شخصية سكاوت استقلالية، فهي في بعض الأحيان تسأل "أتيكوس" لتجد ما تريد أن تعرفه، وتحاول أن تحدد معالم

شخصيتها وهي لا تسمح لأحد ما أن يطمس شخصيتها أو يسيء فهمها. من أروع مواقف سكاوت ما فعلته حينما كان أتيكوس يبيت ليحرس "توم روبنسون"، كانت من الجرأة لتحاول الدفاع عن أبيها ضد المشاغبين الذين كانوا يريدون قتله، فما كان منها إلا أن أعادتهم لرشدهم بأن نبشت عن الخير الذي بداخلهم والذي طيرته للحظة، العنصرية والغضب اللذان لا مبرر لهما. كان سلاحها البراءة لتعيد اكتشاف الخير بداخلهم. نجد في الرواية لدى سكاوت جرأة رائعة حتى في أسلوب تعاملها مع الحياة، ونحس بنضجها أكثر من غيرها. نراها حين تتعارك مع فرانسيس بعدما شتم أتيكوس واستفزها فضربته، ومن ثم حكم عليها عمها بأنها أخطأت وعاقبها بالضرب، غضبت منه، لكن حينما جاء ليعاتبها إذا بها تستغل الفرصة لتبرر له سبب الغضب وتخبره كيف أنه لم يفهم الموقف ولم يسمح لها بأن تروي روايتها هي الأخرى ليحكم بالعدل، لتتمكن من أن توقف عمها للحظات ليتعلم منها هي الطفلة كيف يتعامل معها وكيف أن مواجهة الأطفال في مواقفهم هي ما يرسخ لديهم القيم التي يشبون عليها فهم يتعلمون من الكبار، وتضرب مثلاً للكبار كيف أننا قد نأخذ دروسنا من الأطفال في وقت ما، وتثبت أن العدل من الفطرة التي نولد بها وشيء يتنامى في الإنسان منذ الصغر، وأنه لا ينبغي أن نفرق في استخدامه سواء لفارق السن أو العرقية.

هي أيضاً تتعلم أنه ليس كل ما يبدو لأول وهلة سيئًا يكون في الحقيقة كذلك، ينبغي أن نقترب من الأشخاص ونعرف ظروفهم ودوافعهم حتى يمكننا أن نفهم لماذا يتصرفون كما يفعلون، فهي تتعلم الدرس: أنه مهما كان سلوك الإنسان فظًا قد يكون خلف ذاك القناع قلب وعواطف وملابسات لا نعرفها، لذا يجب أن نلتمس العذر أحيانًا لمن أمامنا لأننا مهما كان لا نعرف دوافعهم، وتؤكد "هاربر لي" أيضًا على هذه النقطة عندما نجد "أتيكوس" هو أيضًا يحاول أن يبرر لـــ "ماييلا يوويل"

وهي في المحكمة أن تصرفها الخاطئ، فقد فهم هو دوافعه وأراد أن يطمئنها أنه أحيانًا نخطئ لأننا بشر لكن ما لا يمكن قبوله هو تشبثنا بهذا الخطأ.

كيف يراقب الأطفال من حولهم؟ نلاحظ مع سكاوت كيف تراقب عن كثب "جيم" وهو يكبر في العمر وكيف تلاحظه بمنتهى الفضول والدقة، فعينا الطفل هما ميكروسكوب يرصد كل حركة وكل تغير مما يحتم علينا أن نأخذ ذلك بعين الاعتبار، فنحن نمثل القدوة للأطفال حتى بغير النصح والكلمات إنما بالأفعال.

تنضج سكاوت رغمًا عنها في بعض الأحيان، فهي تتعرف على حقيقة أن الحياة قد لا تتماشي مع القيم والمثل، فليس العدل ينتصر دومًا، فترى الظلم ينتصر لأن الناس اختاروا ألا يقولوا الحق لبشاعته فلا يجرؤون على التلفظ به لئلا يهدموا ما وضعوه هم من قوانين، وهم قد يقتلون من اختاروا أن ينطقوا به لأنهم يريدون لذلك الصمت حولهم أن يعُمّ، أما من اختاروا النطق بالحقيقة أو الدفاع عنها فيبدو وكأنهم قد تحملوا عن المجتمع ذلك العبء الثقيل بأن يكونوا الصوت الناطق بالحق رغم كل شيء وعليهم أيضاً أن يدافعوا عن ذلك الحمل. سكاوت أيضاً تنتقد ما قد يكون الناس فيه من ازدواجية، فهم أمامها يعطفون على أفارقة المرونا و قد يحدثون الناس عنهم ويشفقون عيهم فيجمعوا التبرعات لهم، لكنهم لم يكلفوا نفسهم عناء النظر لمن حولهم من الأفارقة الأمريكيين وقد يلومون شخصًا ما لأنه حاول المساومة بينهم. في نهاية الرواية نرى سكاوت وقد اكتمل نضوجها رغم صغر سنها، فهي تفهم لماذا يقوم المأمور بإخفاء حقيقة من قتل "بوب يوويل" وأنقذها هي وجيم حتى لا يقتل الأسطورة التي تصور بشاعة "بو رادلي"، وكان ردها على أتيكوس قائلة: "سيكون ذلك أشبه بقتل طائر محاكي أليس كذلك؟!!" لأن اغتيال حقوق من لم يفعل شيئًا سوى مد يد العون هو كقتل الطير المحاكي. كثير من الكبار قد لا يصلون لهذه

النتيجة طوال عمرهم لكن ها هي سكاوت تبرهن على أنه لا يلزمك الكبر في العمر بالسنين لتصل إلى الحكمة ولكن يكفي أن تراقب سير الأحداث من بعيد وحتمًا ستتعلم، لكن راقب و لا تكتفي بأن تذهب مع موجة الحياة دون أن تتعلم شيئاً وإلا ضاعت حياتك سُدًى.

قد يكفينا من الشخص تصرف واحد لنعرف كنهه حتى ولو لم نقابله بعدها. هناك أشخاص يمرون في حياة الشخص لثوانٍ لكنهم يتركون أثرًا لا يُمحَى مع السنين . تبقى الحقيقة التي فهمتها سكاوت، أن كثيرين ممن حولها لن يؤثر فيهم ما حدث ولن يحاولوا حتى أن يفهموه، وأحداث حياتهم ستظل كما هي دون أن تتغير، لأنهم لم يروا ما يكمن خلف الأحداث، لم يفهموا الصورة المجملة وهم لن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الحقيقة.